

مبادئ السيميوطيقا: المحاضرة الخامسة

أ- التحليل المحايد: ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة وإقصاء كل ما هو محيل خارجي كظروف النص والمؤلف وإفرازات الواقع الجدلية. وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر أي أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجه. والمحايدة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتج نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر

و مفهوم المحايدة من المفاهيم التي أشاعتها البنيوية في بداية الستينات، ليصبح بعد ذلك مفهوما

مركزيا استنادا إليه يفهم النص وتنجز قراءاته وهو وحده الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني

ب - التحليل البنيوي: يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف. ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. ولذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر إلا ما كان منها داخلا في نظام الاختلاف تقييما وبناء. وهو مانسميه شكل المضمون وبناء الهيكلية والمعمارية، أي بعبارة أخرى تحليلا بنيويا لأنه لا يهدف إلى وصف المعنى نفسه، وإنما شكله ومعماراه.

ج- تحليل الخطاب: إذا كانت اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها تهتم بدراسة الجملة انطلاقا من مجموعة من المستويات المنهجية حيث تبدأ بأصغر وحدة وهي الصوت لتنتقل إلى أكبر وحدة لغوية وهي الجملة والعكس صحيح أيضا، فإن السيميولوجيا تتجاوز الجملة إلى تحليل الخطاب، أي يهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية. وهذا ما يميزه عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة.

٦. علاقة السيميائيات بالمجالات الأخرى:

للسيميولوجيا تفاعلات كثيرة مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية. فلقد ارتبطت السيميولوجيا في نشاتها مع اللسانيات والفلسفة وعلم النفس والسوسولوجيا والمنطق والفينومولوجيا أو فلسفة الظواهر علاوة على ارتباطها بدراسة الأنثروبولوجيا كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية. كما ترتبط السيميولوجيا منهجيا بدراسة الأدب والفنون اللفظية والبصرية كالموسيقى والتشكيل والمسرح والسينما. وترتبط كذلك بالهرمونيطيقا وبدراسة الكتب الدينية المقدسة. وارتبطت كذلك بالشعرية والنحو والبلاغة وباقي المعارف الأخرى. وإذا كانت السيميولوجيا أعم من اللسانيات أي إن اللسانيات جزء من السيميولوجيا كما عند سوسير فإن رولان بارت يعتبر السيميولوجيا أخص من اللسانيات، أي إن السيميولوجيا فرع من اللسانيات وأن كثيرا من العلامات البصرية والأنساق غير اللفظية تستعين بالأنظمة اللغوية.

٧. مجالات التطبيق السيميولوجي:

لقد صار التحليل السيميوطيقي تصورا نظريا ومنهجا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية وأداة في مقارنة الأنساق اللغوية وغير اللغوية. وأصبح هذا التحليل مفتاحا حداثيا وموضة لا بد من الالتجاء إليها قصد عصرنة الفهم وآليات التأويل والقراءة. ويمكن الآن أن نذكر مجموعة من الحقول التي استعملت فيها التقنية السيميوطيقية للتفكيك والتركيب:

١. الشعر (مولينو - رومان جاكسون - جوليا كريستيفا - جيرار دولودال - ميكائيل ريفاتير....).
 ٢. الرواية والقصة: (كريماس - كلود بريموند - بارت - كريستيفا - تودوروف - جيرار جنيت - فيليب هامون...).
 ٣. الأسطورة والخرافة: (فلاديمير بروب...).
 ٤. المسرح (هيلبو - كير إيلام Elam Keir).
 ٥. السينما (كريستيان ميتز - يوري لوتمان...).
 ٦. الإشهار (رولان بارت - جورج بنينو G. Penino - جان دوران J. Durand...).
 ٧. الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة (رولان بارت...).
 ٨. التشكيل وفن الرسم: (بييرفروكستيل Pierre Francastel - لويس مارتان Louis Martin - هوبرت داميش Ebert Damisch - جان لويس شيفر...).
 ٩. التواصل: (جورج مونان - برييطو...).
- الثقافة (يوري لوتمان - توبوروف - بياتيكورسكي - إيفانوف - أوسبنسكي - أمبرطو إيكو - روسي لاندي...).
- الصورة الفوتوغرافية: (العدد الأول من مجلة التواصل - رولان بارت Avedon...).

القصة المصورة **La bande dessinée** (بيير فرينولد دوريل **Pierre FresmanIt-Deruelle**.....
الموسيقى: (مجلة **Musique en jeu** في سنوات ٧٠-١٩٧١...).

الفن: (موكاروفسكي-.....).

٨. **السيمولوجيا في العالم العربي:**

ظهرت السيمولوجيا في العالم العربي عن طريق الترجمة والمثاقفة والاطلاع على الإنتاجات المنشورة في أوروبا والتلمذة على أساتذة السيمولوجيا في جامعات الغرب . وقد بدأت السيمولوجيا في دول المغرب العربي أولا، وبعض الأقطار العربية الأخرى ثانيا، عبر محاضرات الأساتذة منذ الثمانينيات عن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيمولوجيا (حنون مبارك- محمد السرغيني- سمير المرزوقي - جميل شاكر- عواد علي- صلاح فضل- جميل حمداوي- فريال جبوري غزول-...)، أو عن طريق الترجمة (محمد البكري- أنطون أبي زيد- عبد الرحمن بوعلي- سعيد بنكراد...)، وإنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب (محمد مفتاح- عبد الفتاح كليطو- سعيد بنكراد- محمد السرغيني- سامي سويدان...)، أو مقالات (انظر مجلة علامات ودراسات أدبية لسانية وسميائية بالمغرب ومجلة عالم الفكر الكويتية وعلامات في النقد السعودية ومجلة فصول المصرية-...)، ورسائل وأطروحات جامعية تقارب النصوص الأدبية و الفنية والسياسية... على ضوء المنهج السيميائي أنجزت بالمغرب وتونس وهي لاتعد ولاتحصى. ولقد وقع النقد السيمولوجي العربي في عدة اضطرابات اصطلاحية ومفاهيمية في ترجمة المصطلح العربي **Sémiologie-Sémiotique** إذ نجد : علم الدلالة (محمد البكري...)- الرمزية(أنطون طعمة في دراسته" السيمولوجيا والأدب"...)- السيمياء (محمد مفتاح في كتابه " في سيمياء الشعر القديم")- علم العلامات- علم الإشارات- السيمولوجيا- السيميوطيقا...

وما يلاحظ على هذه التطبيقات السميائية أنها عبارة عن تمارين شكلية تغفل الجوانب المرجعية والمضمونية والأبعاد الإيديولوجية، كما تخلط بين المناهج تلفيقا وانتقاء. أما النتائج المتوصل إليها فأغلبها تبقى- في اعتقادي- تحصيل حاصل بعد تسويد العديد من الأوراق المرفقة بالأشكال والجداول والرسومات الهندسية والأسهم التواصلية؛ ولكن الفائدة قليلة جدا تتمثل في لعبة التفكير والتركيب دون الحصول على معارف جديدة ماعدا القليل من الدراسات والأبحاث الجادة. ويلاحظ أيضا أن هذا المنهج السيميائي يقف عند حدود الملاحظة والوصف ولا يتعدى ذلك إلى التقويم والتوجيه الذين يعدان من أهم عناصر النقد الأدبي.